

الباب السادس

الغرائز

أثرها في حياة الإنسان — دراسة بعض الغرائز الهامة :

التملك أو الاقتناء — حب الظهور أو التسلط —

الانقياد أو الخضوع — المقاتلة .

دافع المنافسة .

obeikandi.com

الغرائز

إذا شاهدنا الطفل الصغير بعد أن يولد ، نجده يستطيع القيام بحركات كثيرة من تلقاء نفسه ، كتجريك ذراعه ورأسه ، وكالعطاس والتشأوب ، وكالاضطراب والانزعاج ، أو الزحف والجري إن استطاع ذلك ، إذا سمع دويًا مفاجئًا .

هذه الحركات ومثيلاتها إذن فطرية فيه ، خلق الله الطفل وهو قادر على القيام بها ، دون أن يعلمه أحد ذلك .

ومن هذه الحركات ما يسمى بالحركات العكسية أو المنعكسة ، وهي الحركة التي يقوم بها عضو واحد من أعضاء جسم الإنسان إذا ما وُجد سبب خاص له ، دون أن يتعلم القيام بها في حياته ، فغمض العين إذا ما اقترب منها شيء متحرك ، يسمى حركة منعكسة أو فعلاً منعكساً ، والعطاس إذا ما دخل الأنف شيء ، وارتفاع الساق إذا ضرب على أسفل الركبة ، وتضييق حدقة العين إذا وقع عليها ضوء شديد ، كل ذلك يسمى بالأفعال المنعكسة .

والفعل المنعكس الذي خلق الله الإنسان قادراً على أدائه ، بسيط لا يكاد يشترك في أدائه إلا عضو واحد من أعضاء جسم الإنسان ، وهو يحفظ كيان العضو الذي يقوم به . فالعين تغمض حتى تتقي بذلك ضرراً قد يصيبها ، والأنف تعطس حتى تخرج من الأجسام التي دخلت فيها ما قد يضر بها ، والحدقة تضيق إزاء النور الشديد حتى تحمي نفسها من أثره وهكذا .

وهناك نوع آخر من الأفعال ، نجد أن الإنسان يستطيع القيام بها بالفطرة دون أن يتعلمها ، ولكنها تختلف عن الأفعال المنعكسة من حيث اشتراك أكثر من عضو واحد في القيام بها ، ومثلها الهرب إذا ظهر أمام الإنسان

ما يخيفه ، فإن ساقيه ويديه وعينه وسمعه تشترك في حركة الهرب . وكالمقاتلة إذا حدث ما يخضبه ، فإننا نجد في الغالب أن أعضاء كثيرة تقوم بحركة الهجوم والنزال . ومثل هذه الأفعال تسمى بالأفعال الغريزية .

وإذا كان الفعل المنعكس يعمل على حفظ العضو المختص بحركته ، فإن الفعل الغريزي يعمل على حفظ كيان الفرد كوحدة أو الجنس ككتلة . فالإنسان يهرب ليحفظ حياته من خطر داهم ، وهو يقاتل لينتصر على ما يقف في سبيله في الحياة ، وهو يتناسل ليحفظ جنسه من الفناء .

وهذه الأفعال الغريزية المختلفة ، ناشئة عن قوى فطرية كامنة في كل نفس تسمى بالغرائز ؛ فالغريزة قوة فطرية تجعل الإنسان يقوم بأفعال خاصة للوصول إلى أغراض معينة . وتتصل هذه الأغراض بالمحافظة على الإنسان أو على جنسه .

ولقد اختلف الناس في حصر الغرائز الإنسانية ، فمنهم من وصل بها إلى ما فوق الأربعين ، ومنهم من نزل بها إلى اثنتين أو ثلاث . على أن كثيرا من علماء الوقت الحاضر قد اتفقوا على حصرها في أربع عشرة غريزة ، تتميز كل منها بشعور خاص من الوجدان ، يشعر الإنسان به إذا أثرت فيه . فعندما تثار غريزة الهرب يشعر الإنسان بالخوف ؛ وعندما تثار غريزة المقاتلة يشعر الإنسان بالغضب ؛ وإثارة السيطرة تأتي بالزهو ، وهكذا الأمر في بقية الغرائز .

ولقد دعى ذلك العلماء إلى التوسع في تعريف الغريزة التي سبق أن ذكرناه ، حتى يشمل النص على ذلك الشعور من الوجدان ، وقد أطلقوا عليه « الانفعال » .

على أننا لو دققنا النظر في أمر الغريزة وإثارتها ، لوجدنا أن الإنسان

ينتبه لما يثيرها فيه ، ويدركه دون غيره من مختلف الأشياء ، فإذا ظهر حيوان مفترس مثلا ، وأثار غريزة الهرب وجّه الإنسان له أكثر انتباهه . وإذا ظهر شيء جديد أمام المرء فأثار غريزة حب الاستطلاع فيه ، تحوّل أكثر الانتباه إليه وهكذا .

ولذلك لم يكن التوسع في تعريف الغريزة خاصا بإدماج الشعور بالانفعال فيه فقط ، ولكن العلماء وضعوا فيه أيضا نصا على إلزام الغريزة المرء أن ينتبه إلى ما يثيرها فيه . ويمكننا أن نذكر التعريف الشامل للغريزة فيما يأتي : الغريزة قوة فطرية تجعل الإنسان ينتبه إلى أشياء خاصة (وهي ما تثير الغريزة) ويشعر بانفعال خاص ، ويقوم بأفعال خاصة ، أو على الأقل يشعر بدافع الرغبة في القيام بتلك الأفعال الخاصة ، إن كان هناك ما يمنعه من القيام بها . فالاستطلاع مثلا غريزة تجعل الإنسان ينتبه إلى أي شيء جديد عليه ، ويشعر بانفعال العجب ، ثم يقترب من ذلك الشيء أو يقلبه بين يديه للتعرف عليه ، أو يشعر بالرغبة في ذلك دون أن يحققها ، إن كان ممنوعا عليه أن يقترب ويقلب .

وحب الاجتماع كذلك غريزة تجعل الإنسان ينتبه إلى حالة وحدته وانفراده التي تثيرها فيه ، ويشعر بذلك ، ويعمل على أن يذهب إلى مجتمع أو منتدى حتى يكون بين الناس .

والتسلط أو حب الظهور غريزة تجعل الإنسان ينتبه إلى من هم أقل منه ، فهو لاء يثيرونها فيه ، فيشعر بانفعال الزهو ، ويعمل على أن يظهر قدرته وكفاءته أو يتظاهر بهما .

وهكذا في بقية الغرائز .

وإن ذلك الانفعال الذي يظهر عند إثارة الغريزة ، هو نواتها ، وهو ما يميزها عن غيرها من الغرائز الأخرى ، وهو أيضا الأساس الذي اتخذه

كثير من العلماء لحصرها في الغرائز الأربع عشرة الآتية :

الانفعال	الغريزة
العجب .	(١) الاستطلاع .
الخوف .	(٢) الهرب .
الغضب .	(٣) المقاتلة .
الزهو .	(٤) السيطرة أو التسلط .
الخنوع (الاستكانة) .	(٥) الخضوع .
الحنوء .	(٦) الوالدية .
الجوع .	(٧) البحث عن الطعام .
الاشمئزاز — التقزز .	(٨) النفور .
اليأس .	(٩) الاستغاثة .
الشعور بالوحدة .	(١٠) الاجتماع .
الشعور بحب البناء .	(١١) التركيب .
الشعور بحب المملك .	(١٢) الاقتناء أو التملك .
الشهوة .	(١٣) الجنسية .
المرح أو التسلية .	(١٤) الضحك .

ويجب أن نذكر هنا ، أن في الحيوانات غرائز تماثل الغرائز الانسانية ، فالهرب والمقاتلة والاستطلاع والجنسية والبحث عن الطعام والوالدية موجودة في كثير من الحيوانات ، والاقتناء موجود في بعضها كالنمل مثلاً . كما أن لدى الحيوانات غرائز تختلف باختلاف النوع ؛ فغريزة بناء العش موجودة في الطيور ، وبناء الجحر في الثعلب والأرنب وغيرهما .

ولكن غرائز الانسان تختلف عن غرائز الحيوان في أنها أكثر مرونة

وقابلية للتعديل ، وذلك لتفوفه في الذكاء ، وفي الحقيقة نجد أن مرونة الغرائز تزداد كلما ارتقى الكائن الحي في المرتبة الحيوانية ، فهي في الحشرات أقل مرونة منها في الحيوان ، وفي الحيوان أقل مرونة منها في الإنسان .

والغرائز أهم الأسس التي يبنى عليها سلوك المرء وأفعاله في الحياة ، فالاستطلاع أساس المعرفة والتعليم ، والسيطرة أساس التفوق والمثابرة ، والمقاتلة أساس الكفاح وتذليل العقبات ، والهرب (الخوف) أساس الحذر والاحتراس .

وهذه الغرائز تتفاعل كلها معاً ، وتتعدل وتتطور ، وتمتزج وتنظم ، فمنها تتكون العواطف والمثل العليا والأخلاق والعادات التي هي أساس الحياة المنظمة ، والمعيشة الاجتماعية الراقية . ولذلك كان واجباً علينا أن نعى بها أشد العناية ، وأن نعمل على تهذيبها في الطفل منذ نعومة أظفاره ، حتى لا تدفعه إلى طرق عقيمة تضر به ، وتجعل حياته مليئة بالشرور والبؤس والشقاء .

من كل هذا نرى أن الطفل لا يُخلق صحيفة بيضاء كما يقول بعض العلماء ، ولا يخلق شريراً أو صالحاً ، ولكنه يخرج لهذه الحياة بقوى واستعدادات ، إن نحن هذبناها ورببناها ، فإننا نخرجه بذلك فرداً طيباً صالحاً نافعاً لنفسه ولأسرته وللمجتمع الذي يحيا فيه . أما إن أهملناها فقد تصبح وبالاً عليه ، تدفعه إلى الشرور والآثام ، فينبذه المجتمع ، ويشقى في الحياة .

وتهذيب الغريزة ليس معناه الضغط عليها ، فالضغط ضار بالطفل . ومهما حاولنا فلن ننجح في قتل الغريزة أو مسحها من نفسيته . وإن تراءى لنا أننا قد نجحنا ولم يظهر للغريزة أثر ، فليس معنى ذلك أنها قد ذهبت من عقله وانمحت من حياته النفسية ، بل إنها قد اختفت فيما يسمى بالعقل الباطن ، تسير المرء دون أن يدري ويشعر ، وتحدث في سلوكه أسوأ الأثر . وقد

يتسبب عنها شذوذ في خلقه ، واضطراب في عقله .

وقد ينتج عن الضغط رد فعل شديد ، فإن حرمت الطفل من إرضاء غريزة المقاتلة وضغطت عليها فيه ، فقد تنفجر فيقسو أشد قسوة ، ويضرب أخواته الصغار ، ويعتدى على الحيوانات الضعيفة ، بل وقد يعتدى بالقول أو بالفعل على من ضغطها فيه .

على أن آثار الضغط على الغريزة لا يعدو فقط أحد هذين الأمرين السابقين ، بل قد يكون من أثره أن يحاول الناشئ إرضاء غريزته سراً وخفية بعيداً عن الرقباء الشديدين عليه ، وقد يدفع لجهله أو لاستعانته بغير مربيه ، من خدم أو أطفال أكبر منه سناً ، لأن يسلك طريق الإيجرام ، كأن يسرق إن ضغط على غريزة الاقتناء عنده ، أو يشاكس الناس ويعتدى عليهم ، إن كان الضغط واقعاً على غريزة المقاتلة .

وكما أن للضغط على الغريزة أثره السيئ ، فإن إعطاء الطفل الحرية الكاملة في إرضائها ضار به ، إذ قد تؤدي به الغريزة إلى مناهج فاسدة ، وبذلك ينشأ فرداً غير صالح لنفسه وللجمتمع الذي يعيش فيه . فإن أعطيت غريزة المقاتلة الحرية الكاملة ، فقد تدفع الطفل للضرب والشجار والقسوة والعنف .

وإذن كان من الواجب ألا نهج منهج الشدة والضغط في معاملة غرائز الطفل . كذلك يجب ألا نعطيها الحرية كاملة ؛ بل نوجهها في الجهات الصالحة النافعة فنجعل الطفل يرضى غريزة حب الاستطلاع بتشجيعه على السؤال وإشباع عقله بما يناسبه من الإجابات . ونجعله يرضى غريزة المقاتلة في ألعابه الهجومية كالعاب البحث والاختفاء « استغماية » وألعاب الحروب ، وفي تشجيعه على تذليل ما يعترضه من عقبات وعوائق .

ونحوّل غريزة السيطرة نحو العمل على التفوق فيما ينفع ويفيد ، لا في أن يهتم الطفل كل الاهتمام بملابسه ومظهره فقط .

وإرضاء الغريزة فيما ينفع الفرد ولا يضر بالمجتمع يسمى « إعلاء » أو تساميا . وهو من أهم ما يجب على المربين أن يقوموا به نحو غرائز الأطفال الناشئين .

المقاتلة والغضب

المقاتلة غريزة موجودة في الإنسان والحيوان ، وظاهرة قوية في الجماعات أيضا ، إلا أنها تأخذ أشكالا متباينة على حسب تأثير نوع البيئة والمجتمع .

ويصحب هذه الغريزة انفعال الغضب . وهو شعور وجداني قوى يحدث بعض آثار ظاهرة في الجسم ، وتحتاج له الأعصاب ، وهو الذي يحفز الإنسان للدفاع عن نفسه أمام من اعتدى عليه .

والغضب له أثر خطير في حياة الفرد . إذ يضر بصحته وأخلاقه إذا اشتد وتكرر . أما إذا تهذب ، جعل صاحبه شجاعا مقداما ، يدافع عن أهله ووطنه .

ويشير غريزة المقاتلة رؤية العدو ، أو التعدي على حقوق الفرد ، أو مسكرامته ، أو وجود حائل بين الشخص وبين الوصول إلى رغبته .

وكلنا يلاحظ هذه الغريزة في الصغار وفي الكبار على السواء . فمثلا إذا حاولنا أخذ لعبة من الطفل في الوقت الذي يريد فيه اللعب بها ، أو إذا بعثرنا ما يجمع من الأشياء ، أو حاولنا هدم القصر الذي يشيده من الرمال ، أو غير ذلك من ضروب الممانعة للأعمال التي يميل إليها الطفل ، فهاذا نلاحظ

عليه . . ؟ نلاحظ تغييرا في ملامح وجهه ، إذ تبدو عليه أمارات الغضب ، ثم لا يلبث أن يهرخ ويبيكي ويشتم ويلقي ما بيده ، وربما هشمه أو داسه بأقدامه . ولا يتمكن غالبا من ضبط نفسه إذا كان الشيء عزيزا عليه ، فتراه يهجم على المعتدى يقاتله ويضربه ، ويعضه لتدخله في أموره الشخصية .

وبين سن ٧ و ١٢ نرى الأطفال يتشاجرون لأتفه الأسباب . وإذا لاحظناهم في الملعب — وخاصة الأولاد منهم — وجدناهم يشبعون هذه الغريزة بالمشاكسة والشجار والملاكمة والمهاجمة وغير ذلك من وسائل المقاتلة .

كذلك الحال مع الكبار . إلا أن الطفل ينقصه ضبط النفس . أما الكبير فيتمكن من ضبط نفسه ، وتحكيم عقله عند الغضب .

هذا ويجب أن نوجه هذه الغريزة إلى ما هو مفيد ونافع لصحة الفرد وأخلاقه معا . فالألعاب الرياضية بأنواعها ، كالمصارعة وكرة القدم وغير ذلك ، كلها أشياء تنفس عن غريزة المقاتلة .

ولما كان الغضب من الانفعالات الشديدة التي يجب تهذيبها ، وجب على المربين العناية بمعاملة الطفل الغاضب معاملة معتدلة حازمة ، وأخذه باللين والهدوء حتى تخمد ثورته ، ويعود إلى حالته الطبيعية . ولا يصح بأي حال من الأحوال أخذه بالشدة والعنف ، لأن ذلك يزيد الطين بلة . ويترك أثرا سيئا في نفس الطفل ، كما يزيد قوة الباعث على الغضب عنده .

ونستطيع أن نسمو بالغضب إلى عاطفة راقية أو خالق كريم ، بأن نربطه بمثيرات سامية ، كالغضب للحق والدفاع عن الأهل والوطن ، ومواجهة الصعاب والتغلب عليها

غريزة الأدخار أو التملك

كثيراً ما نلاحظ هذه الغريزة بوضوح وجلاء في عهد الطفولة ، بل إننا نراها تلازم بعضنا طول حياته . فمن يبحث في جيب أحد إخوته الصغار يجده محشواً بذخائر يراها الصغير في نظره ثمينة ، وما هي إلا قصاصات من ورق ملوّن أو قطع من الخزف أو الحجر أو الزجاج ، أو عدد من البكر أو المسامير أو ما شابهها . فالطفل يجمع ما يقع تحت متناول يده ، أو يجتذب التفاته ، بغض النظر عن فائدته أو قيمته ، وهو في ذلك يلبي نداء هذه الغريزة المُلِحَّة . وتختلف الأشياء التي يدخرها الطفل على حسب البيئة التي يعيش فيها . فالطفل القروي تختلف مجموعة مقتنياته عن ساكن المدن ، ومجموعة المصري تخالف بعض المخالفة مجموعة الانجليزى أو الفرنسي .

وكل ما يجمعه الطفل يعتبره ملكاً له ، يدافع عنه ويبذل النفس والنفيس في سبيل الاحتفاظ به . وهذا الميل الغريزى في الطفل يصحبه سرور ولذة عظيمان ، هما نتيجة شعوره بأن له شيئاً يحتفظ به ويستمد التسلية والقوة منه . وإننا لنلاحظ أن الطفل يميل إلى تملك كل ما له علاقة مباشرة به ، فهو يعتبر ثدى أمه ملكاً له ، كذلك مربيته ، ولعبته وملبسه ، وهلم جرا .

قيمتها في التربية :

إن لهذه الغريزة قيمة في التربية لا يستهان بها إذا وجهت الوجهة الصالحة . ففائدة الأشياء المدخرة ليست مقصورة على قيمتها فحسب ، بل إن هذه الأشياء تعمل على استثارة شوق الطفل إلى ملاحظتها ملاحظة دقيقة ، وإلى البحث عن منشأ وفائدتها وقيمتها الجغرافية أو التاريخيه ، ومقارنتها بما يماثلها ،

وتدوين الملاحظات عنها ، ثم وضعها في مكان خاص ، ترتب فيه مع غيرها من الأشياء التي من نوعها من نبات أو حيوان أو جماد . وبذا تكون هذه الغريزة وسيلة لتوسيع معلومات الطفل . كما تصبح هذه المعلومات التي سعى إلى تحصيلها يباعث من عنده ، ذات أثر قوى في نفسه .

وقد أدرك المربون ما لهذه الغريزة من فائدة في التعليم ، فأنشأت لكل مدرسة متحفا خاصا لما تجمعها الأطفال من مختلف الأشياء ، وشجعتهم على جمع كل ما يتصل بدروسهم المختلفة .

وقد يحصل أن يندفع الطفل بحكم هذه الغريزة ، فيمد يده إلى ما لا يملك . وقد يعتبر سارقا في نظر أمه في هذه الحالة ، فتعاقبه دون أن يكون هناك ما يستحق العقاب ، إذ أنه لا يفرق بين ما هو خاص به ، وما هو خاص بغيره . وواجب الأم في هذه الحالة أن تفهمه أن ما أخذه ليس ملكا له ، بل هو ملك لغيره ، وأن عليه أن يردده إلى صاحبه . وأنه كما لا يجب أن يتعدى على متاعه أحد ، فكذلك يجب ألا يتعدى على ما هو ملك للغير . وعلينا أن نشبع هذه الغريزة في الأطفال بأن نخصص لهم (مصروفا) ، ونمدحهم بالشعب التي تناسب أعمارهم حتى لا تدفعهم هذه الغريزة إلى إرضائها في الخفاء .

غريزة تاحب الظهور والخضوع

غريزة حب الظهور أو السيطرة :

هذه الغريزة تدفع الطفل لأن يعمل على اجتذاب أنظار الغير نحو ما يقوم به من شتى الأعمال ، كما تحمل صاحبها على معارضة سلطة الغير حبا في الاستقلال والحرية الشخصية ؛ وتدفعه إلى تسخير غيره في قضاء حاجاته .

ولو أننا لاحظنا تصرفاتنا ، لوجدنا هذه الغريزة ظاهرة جليلة فيها . فكل واحد منا يسعى لمقاومة نفوذ الغير ، وإظهار سلطته عليه بكل ما أوتي من قوة جسمية أو نفسية . وفي هذا يشعر المرء بشيء من اللذة والراحة الناتجين من إشباع هذه الغريزة .

وإننا لنرى الطفل يسعى لإظهار قوته على بيئته ، ويحاول أن يبسط سلطته عليها ، ويسخرها في أموره الشخصية . فهو يحب في لعبه أن تكون له السيادة ، فتارة يرفع شيئاً ثقيلاً ليظهر قوته الجسدية ، وطوراً يحاول أن يخضع لعبته لبيدو بمظهر السيطرة والسلطان . وقد يقاوم الطفل سلطتنا مستعينا بغيره من الأطفال الذين يلعب معهم . ولكن طبائع الأطفال تتفاوت في قوة الباعث لهذه الغريزة ؛ فبعضهم يقاوم بشدة ، وبعضهم يخضع بسهولة . والطفل الذي يقاوم سلطة غيره ، يسعى غالباً إلى تسليط قوته عليه . وهذا يظهر جلياً في ألعاب الأطفال الجمعية ، حيث نجد أكثر من واحد منهم يتسابق للقيادة وإعطاء الأوامر . والطفل الذي يأمر وتطاع أوامره ، لا بد أن يكون خليقاً بالقيادة ، مزوداً بعناصر جسدية أو فكرية تؤهله لتزعم غيره من الأطفال .

وهناك عدا إلقاء الأوامر وحب القيادة منافذ أخرى للطفل ، يظهر بها سلطته ، كالتظاهر والتفاخر والاستئثار بالكلام . وهذه المظاهر نشاهدها كثيراً في أطفالنا كل يوم .

وواجبنا أن نخفف من وطأة هذه الغريزة ، فلا نغالى في زخرف ملابس الطفل كيلا نساعد على التفاخر والكبرياء . كما يجب ألا نعوّد الطفل الأمر والنهي ، لأنه بذلك يصبح غير قادر على طاعة غيره في المستقبل .

ولكى نجعل الطفل مطيعاً قابلاً للانقياد ، يجب أن نعالجه بالحزم والحكمة بدلاً من القوة والعنف ، وإلا نشأ جباناً ضعيف الإرادة ، لا يعمل

إلا إذا أرغم على العمل ؛ مثله في ذلك كمثل الحيوان الأعجم ، تدفعه فيسير بلا تصرف ولا إرادة .

غريزة الخضوع :

قد يكون الطفل بطبيعته خاضعا مستسلما لسلطة غيره ، فهو يخضع لكل ما يؤمر به بدافع غريزته المضادة لغريزة السيطرة ، وهى غريزة الخضوع والانقياد ؛ وشتان ما بين الغريزتين . فالأولى تشعر صاحبها بالفوز والنصر ، وتدفعه إلى الزعامة والسيطرة ، أما الثانية فتجعله ضعيفا مستكينا ذليلا قليل الثقة بنفسه .

وقد يكون السبب فى خضوع الطفل استمرار التسلط عليه مما يؤدي إلى الضغط على غريزة حب الظهور فيه ، ويدعو إلى إذلاله وعدم الثقة فى نفسه والشك فى قدرته . والواجب علينا والحالة هذه أن نعمل على إزالة هذه الأسباب بكل الطرق الممكنة ، وذلك بأن نشعره بأهميته ومقدرته فنحمله بعض المسئوليات والأعمال المناسبة لمقتضى حاله ، ونشجع غريزة الظهور فيه ، ونعوده الاعتماد على النفس ، والثقة بها ، كما نعوده الإقدام والشباب والمثابرة والتغلب على ما يقف فى سبيله من الصعاب .

ويجب أن نعاذل بين الغريزتين حتى تصبح النسبة بينهما متزنة ، فلا يعود الطفل ذليلا ولا متهورا . كما يجب أن ندرّبهما على ما فيه الخير والفائدة . لحياة الفرد والجماعة .

المنافسة والمباراة

المنافسة دافع نفسى مصدوره غريزتا السيطرة والمقاتلة ، يسوق صاحبه إلى ميدان العمل لينافس غيره ويصل إلى ما وصل إليه من المقدرة والمهارة ويعمل على التفوق عليه . ويعتبر هذا الدافع باعثا قويا على تقدم الأفراد والجماعات ، بل والأمم بأسرها . فهو الذى يثير همّة الفرد وعزيمته ، فيندفع إلى العمل برغبة شخصية تجعله يبذل كل ما فى وسعه ليحقق بمن هم خير منه . ويترتب على ذلك تقدمه وارتفاعه إلى مستوى أرقى من مستواه العادى . ولا يخفى أن فى ارتفاعه هذا إثارة لمن هم دونه مقدرة وكفاءة ، فتتقوى عزيمتهم ، ويزيد اهتمامهم ويجدون فى اللحاق به .

وإننا لنلاحظ هذا الدافع فى الطفل فى الدور الأول من حياته ، فيما بين الرابعة والخامسة . فهو مع إخوته يقلد حركاتهم ، وكثيرا ما يأتى لنا قائلا أنظروا كيف أقدر على فعل ما قام به أخى كالقفز وقذف الكرة وبناء شىء وغير ذلك .

هذا والمنافسة فى الألعاب الجمعية بين الأطفال والكبار ظاهرة جليلة نشاهدها فى كل مناسبة .

المباراة والتربية :

لما كان للمباريات أثر فى تقدم الفرد والمجتمع ورفقيهما ، كان من الواجب على المربي أن يعنى بها كل العناية ، وأن يحسن تنظيمها ، وإلا كانت نتيجتها الحقد والغيرة والحسد والعداوة بين الأفراد . وربما أثارت فى نفس الفائز روح الغرور ، وبعثت فى نفس المغلوب روح اليأس . وهنا يصبح ضررها أكثر من نفعها .

وعلى المربي والمربية أن تستشير هذا الميل في الطفل ، بأن تشجع الضعيف والقليل الثقة بنفسه ، على منافسة من هو أقوى منه ، وألا تؤنبه أو تحقره إذا لم يتمكن من ذلك . إذ أن قوى الأفراد تتباين . وليس بالمعقول أن تكلف الطبيعة فوق طاقتها ، وتطالب الطفل بما هو فوق مقدوره . بل الواجب ألا تكلفه من الأعمال إلا بما يمكنه النجاح فيه . وأن تتدرج معه على حسب مقدراته الطبيعية ، كما يجب أن تعودته المثابرة على العمل ، والجد في الوصول إلى ما تصبو إليه نفسه .

ويجب تشجيع المنافسة الشخصية ، أى بين الفرد ونفسه ، عندما يبلغ الطفل المنزلة العقلية المناسبة لذلك . وتنظيم المباريات بين جماعة وجماعة ، يعدّ الطفل الإيثار واحترام الجماعة والعمل لنصرتها .

على أنه لا يجوز المغالاة في الثناء على الفرد ، أو منحه المكافآت لهذا الغرض ، لأن في هذا ما يثير الحقد بين الأطفال .

ويجب أن يسود المنافسة روح الصداقة والتقدير للمجهود الذى يبذله المتنافسون ، لأن ذلك من أكبر العوامل التى تساعد على ترقية المجتمع ورفع شأنه .